مجموعة مؤلفات ورسائل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ٥٣

الإفادة بأسباب الربح والسعادة

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

الإفادة

بأسباب الربح والسعادة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٥٣)

الإفادة
بأسباب الربح والسعادة

تأليف

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبدالله ورسوله، وصفيه وخليله من خلقه، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرًا، أما بعد:

فإن الربح والسعادة مطلب لكل واحد، فكل أحد يسعى إلى ذلك، إلا أن الكثير يخطئون طريق النجاة وطريق السعادة؛ لأنهم لم يسلكوا الطريق الموصل إلى السعادة ولأنهم لم يأتوا بأسباب الربح وأسباب النجاة وأسباب السعادة، فيا تُرى ما هي أسباب النجاة والسعادة وأسباب الربح؟

كلٌّ يأتي بأسباب من عنده، ولكن أصدق القائلين هو الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]. وقد أنزل علينا كتابًا عظيمًا أنزله على نبينا محمد ﷺ هو

القرآن أعظم كتاب، وأفضل كتاب، وأجمع كتاب وهو كتاب الله العظيم، القرآن الذي هو آخر الكتب، وهو الحاكم على الكتب السابقة والمهيمن عليها: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المَائدة: ٤٨].

هذا الكتاب العظيم الذي هو كلام ربنا تكلم الله به وسمعه منه جبرائيل ونزل به على قلب محمد ﷺ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٥].

وقد بيّن الله في هذا القرآن العظيم الذي تكلم الله به أسباب الربح والنجاة والسعادة

وأقسم ﷻ وهو الصادق وإن لم يقسم-: أنه لا تحصل النجاة ولا السعادة ولا الربح في الدنيا والآخرة إلا بهذه الأسباب الأربعة:

السبب الأول: الإيمان.

السبب الثاني: العمل الصالح.

السبب الثالث: الدعوة إلى الله.

السبب الرابع: الصبر.

هذه أسباب الربح، وهذه صفات الرابحين، وهذه أسباب النجاة، وهذه هي أسباب السعادة. فمن الذي

أخبرنا بذلك؟

الجواب: هو الله ﷻ في كتابه العظيم الذي هو أعظم كتاب وأفضل كتاب وآخر كتاب وهو القرآن العظيم، فقال ـ سبحانه ـ في سورة قصيرة من قصار السور تتلى إلى يوم القيامة قال فيها الإمام الشافعي رحمه الله: «**لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم**»(١)، وهي سورة العصر، قال ـ سبحانه ـ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العَصر: ١-٣].

أقسم الرب ﷻ أن كل إنسان في خسارة ونقص إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع، إلا من أتى بهذه الأسباب الأربع فإنه من الناجين، الرابحين السعداء.

أقسم ـ سبحانه ـ بالعصر، والله ـ تعالى ـ يقسم بما شاء من المخلوقات لا أحد يحسب عليه ـ سبحانه ـ، ولا يقسم إلا بشيء يدل على قدرة الله ووحدانيته واستحقاقه للعبادة، فأقسم بالعصر، **والعصر**: هو الزمان في أصح أقوال أهل العلم(٢)، الليل والنهار اللذان هما محل الأعمال، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العَصر: ١-٢]

(١) انظر: تفسير الشافعي (٣/ ١٤٦١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٩)، وتفسير البغوي (٨/ ٥٢٢).

هذا المقسم عليه، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ المراد بالإنسان: جنس الإنسان ﴿لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ فكل إنسان في خسارة ونقصان، إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع، وهذا قسم من الله ﷻ ـ تعالى له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته يقسم بالعصر ـ كما هنا ـ، ويقسم بالليل والنهار ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [الليل: ١-٢] ويقسم بالضحى والشمس والقمر: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾ [الشمس: ١-٢]، ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ [التين: ١-٢]، ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ [المرسلات: ١]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾﴾ [النازعات: ١]، يقسم بما شاء من مخلوقاته، لا أحد يحجر عليه، أما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بالله وأسمائه وصفاته، فإذا حلف بغير الله فإن هذا من الشرك؛ قال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»(١).

وأقسم الرب ﷻ لتأكيد المقام وعِظمه وأهميته، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ المراد جنس الإنسان، ﴿لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ٢] خسارة ونقصان، إلا من أتى بهذه الأسباب الأربع فإنه يكون من الرابحين، ويسلم من الخسارة والنقصان.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأيمان والنذور، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ الْحَلْفِ بِالْآبَاءِ، رقم (٣٢٥١)، والترمذي واللفظ له: كتاب النذور والأيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، رقم (١٥٣٥) وقال حديث حسن.

فمن أتى بهذه الأسباب الأربع وهي أسباب السعادة والنجاة والربح وكملها وأقامها واستقام عليها تم ربحه وسعادته ونجاته، ومن ضيعها تم خسارته وهلاكه ونقصه، ومن انتقص شيئًا منها فاته من الربح ومن السعادة، وحصل على شيء من النقصان والخسارة بقدر انتقاصهم من هذه الأسباب وهذه الصفات العظيمة.

فجدير بكل مسلم أن يتدبرها، وأن يتأملها وأن يتفقه فيها وأن يعمل بها حتى يكون من السعداء، وحتى يكون من الناجين، الرابحين، وحتى يسلم من الهلاك والخسارة والنقصان في الدنيا والآخرة.

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

السبب الأول:

الإيمان

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧].

الإيمان: هو التصديق الجازم، والإيمان لا يسمى إيمانًا إلا إذا كان مبنيًّا على العلم، فليس هناك إيمان إلا بعلم، فالذي يؤمن بشيء لا بد أن يعلم حقيقة هذا الشيء الذي يؤمن به، والإيمان في اللغة: التصديق، قال الله ـ تعالى ـ عن إخوة يوسف ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يُوسُف: ١٧] أي: بمصدق، والإيمان: هو الإقرار والتصديق الجازم بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته.

ومن ذلك: الإقرار والاعتراف والتصديق القلبي بأن الله ﷻ فوق العرش، وأنه الرب وغيره مربوب، وأنه الخالق وغيره مخلوق، وأنه المالك وغيره مملوك، وأنه مدبِّر وغيره مدبَّر، والإيمان بجميع أفعاله ﷻ، والتصديق الجازم بأسمائه وصفاته بما له ﷻ من الأسماء والصفات التي سمى بها نفسه، أو وصف بها نفسه في كتابه العظيم، أو سماه بها أو وصفه بها نبيه الكريم، قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعرَاف: ١٨٠].

والإيمان والتصديق الجازم بألوهية الله واستحقاقه العبادة وأنه المعبود بالحق وغيره معبود بالباطل، فالمعبودات كثيرة ولكنها عُبدت بالباطل: فالشمس والقمر، والنجوم، والبشر، والحيوانات، والأصنام والأوثان، والجن والملائكة، وغير ذلك من المعبودات، كلها عبدت من دون الله فهي معبودة بالباطل.

والعبادة حق الله وحده؛ كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: ٣٠]. فلا بد من الإيمان بأن الله هو المستحق للعبادة: فلا يدعى إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا يُنذَر إلا لله، ولا يطاف إلا ببيت الله، ولا يركع إلا لله، ولا يُسجَد إلا لله، ولا يُخاف إلا من الله، ولا يُرجى إلا من الله، ولا يتوكل إلا على الله، وهكذا جميع أنواع العبادة يجب صرفها لله؛ فإن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله زال الإيمان أو اختل وانتُقص.

فإذا دعا غير الله أو ذبح لغير الله أو نذر لغير الله أو طاف بغير بيت الله تقرُّبًا لذلك الغير أو ركع لغير الله أو سجد لغير الله بطل هذا الإيمان ودخله الشرك، فلم يكن إيمانًا صحيحًا، بل يكون إيمانًا فاسدًا؛ لأن الشرك إذا خلط العبادة أفسدها وأبطلها كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفُرقان: ٢٣].

فالشرك إذا خلط العبادة أبطلها وأفسدها، كما أن الطهارة تبطل بالحدث، إذا تطهر الإنسان وتوضأ وأحسن الوضوء ثم خرج منه بول أو غائط أو ريح بطلت الطهارة والوضوء، فكذلك الإيمان والتوحيد، إذا صار الإنسان موحدًا مؤمنًا ثم أشرك بالله بطل الإيمان والتوحيد وانتقل الإنسان من كونه مؤمنًا موحدًا إلى كونه وثنيًّا، وصار من أهل الأوثان ومن أهل الشرك بعد أن كان من أهل الإيمان.

ولابد من الإيمان بالملائكة الكرام وأن لله ملائكة لهم وظائف ولهم أعمال ولهم أشخاص وذوات محسوسة، تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وتخاطب الرسول وليسوا أشباحا وأشكالا نورانية كما يقوله الفلاسفة أعداء الله، بل لهم ذوات وأشخاص لابد من الإيمان بهم والتصديق بوجودهم، وأنهم عباد مكرمون، وأنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التّحريم: ٦]. وأن لهم وظائف وأعمال وظفهم الله بها:

منهم: الموكل بحمل العرش.

ومنهم: الموكل بالنطفة يدبر أمرها حتى يتم خلقها.

ومنهم: الموكل بحفظ بني آدم.

ومنهم: الموكل بكتابة الحسنات والسيئات.

ومنهم: الموكل بالقمر.

ومنهم: الموكل بالشمس.

ومنهم: الموكل بالوحي - وهو جبريل عليه السلام -.

ومنهم: الموكل بالقطر والنبات - وهو ميكائيل عليه السلام -.

ومنهم: الموكل بالنفخ في الصور - وهو إسرافيل عليه السلام -.

ومنهم: الموكل بالجنة وإعداد الكرامة لأهلها.

ومنهم: الموكل بالنار وإعداد العذاب لأهلها.

ومنهم: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المُرسَلات: ١] أرسلها الله تعالى بشئونه القدرية وتدبير العالم، وبشئونه الشرعية ووحيه إلى رسله.

ومنهم: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢﴾ [المُرسَلات: ٢] وصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره، كالريح العاصف.

ومنهم: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ [المُرسَلات: ٣] تنشر ما دبرت على نشره.

ومنهم: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤﴾ [المُرسَلات: ٤] تنزل بما يفرق بين الحق والباطل.

ومنهم: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤﴾ [المُرسَلات: ٤] تلقي أشرف الأوامر.

ومنهم: الموكل بقبض الأرواح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السَّجدَة: ١١]، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: ٤٢]. فملَك الموت يتولى قبض روح العبد، وله ملائكة وهم رسل يعينونه، والله هو الآمر بذلك سبحانه هو الذي يتوفي الأنفس حين موتها، فهم ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١﴾ [النَّازعَات: ١] وهم ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾ [النَّازعَات: ٢] وهم ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣﴾ [النَّازعَات: ٣].

إلى غير ذلك من الأعمال الكثيرة، بل كل حركة في السماوات والأرض فهي ناشئة عن الملائكة بإذن الله الكوني القدري.

وكل هذه أوصاف الملائكة، لا بد من الإيمان بها، ومن لم يؤمن بالملائكة أو أنكر وجودهم أو أنكر ملَكًا من الملائكة فليس بمؤمن.

ولابد من الإيمان بالكتب المنزلة وأن الله أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله لا يعلم أسماءها وعددها إلا الله، فنؤمن بهم إيمانًا مجملا، ونؤمن بما سمى الله منها في كتابه العظيم، ونؤمن بالتوراة وهو كتاب عظيم أنزله الله على موسى وهو من أعظم الكتب وهو يلي القرآن العظيم

وقد جمع الله بينهما في مواضع من كتابه: ﴿قَالُوٓاْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨﴾ [القصص: ٤٨] يعني: التوراة والقرآن ولابد من الإيمان بالإنجيل وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى، ولابد من الإيمان بالزبور وهو الكتاب الذي أنزله الله على داود، ثم الإيمان بالقرآن العظيم الذي أنزله الله على نبينا محمد ﷺ، ولابد من الإيمان بصحف إبراهيم وصحف موسى، فهذه الكتب نُصَّ عليها، وما لم ينص عليها نؤمن به إجمالا، وأن لله كتبًا أنزلها على أنبيائه ورسله هي حق، ومن عمل بها كان من أهل النجاة والسعادة كما قال سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٢١٣] المراد بالكتاب الجنس، يعني: الكتب ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣].

ولا بد من الإيمان بالرسل وأن الله ـ تعالى ـ أرسل رسلا كثيرين إلى عباده لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله، فلا بد من الإيمان بهم إجمالا، ولابد من الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه تفصيلا، ذكر الله ـ تعالى ـ

في كتابه خمسًا وعشرين نبياً فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النِّسَاء: ١٦٣].

وقال ـ سبحانه ـ في سورة الأنعام لما ذكر إبراهيم قال: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٦] فلابد من الإيمان بمن سمى الله منهم، منهم لوط وشعيب وصالح وهود وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ كما سمى الله في كتابه نؤمن بهم وبأسمائهم، وما لم يسم نؤمن بهم إجمالا كما قال الله ﷻ: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٤]. فمنهم من قص الله ومنهم من لم يقصص.

فمن أنكر نبيًّا أو رسولا واحدًا من الرسل فإنه كافر بالله العظيم، ومن كذب رسولا فكأنما كذب الرسل جميعًا، كما قال الله ﷻ عن قوم نوح قال: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠٥] هم كذبوا نبيًّا واحدًا لكن لما كان تكذيبهم تكذيب جنس جعلهم الله مكذبين للرسل،

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٢٣] هم كذبوا نبيًّا واحدًا وهو هود فجعل الله تكذيب هود تكذيب لجميع الرسل، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٤١] هم كذبوا نبيًّا واحدًا وهو صالح لكن تكذيبهم تكذيب جنس الرسل، ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٧٦] هم كذبوا نبيًّا واحدا وهو شعيب فمن كذب واحدًا أو أنكر واحدًا من الرسل ومن الأنبياء انتقض إيمانه وبطل إيمانه.

ولا بد من الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن ذلك: الإيمان برسالة ونبوة نبينا محمد ﷺ واعتقاد أنه: رسول الله إلى الثقلين الجن والإنس، إلى العرب والعجم، وأنه آخر الأنبياء وخاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده، فلابد من الإيمان بأن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي العربي المكي ثم المدني هو رسول الله هو خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده، ومن لم يؤمن بهذا الرسول الكريم فلا توحيد له ولا إيمان، ومن أنكر نبوته أو رسالته، ولو عمل أي عمل فعمله باطل حابط، وعبادته كلها باطلة حتى يؤمن ويصدق بأن هذا النبي الكريم هو رسول الله، ولابد أن يصدق بأنه رسول الله إلى الناس كافة.

فمن قال: إنه رسول الله إلى العرب خاصة فإنه يكون كافرًا ولا يكون مؤمنًا، ومن اعتقد أن رسالته خاصة

بالعرب، أو أن بعده نبي أو رسول فإنه لا يكون مؤمنًا، بل يكون مشركًا لله، قال الله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١] ورسول الله للعالمين، وقال سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾ [النِّسَاء: ٧٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»(١) وقال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٢).

ولابد من الإيمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة، يوم البعث والجزاء والحساب، فلا بد من الإيمان بالبعث، وأن الله يبعث الأجساد ويعيدها من الذرات التي استحالت، وهو عالم بذلك وقادر عليه ﷻ فمن أنكر بعث الأجساد فهو كافر بإجماع المسلمين، وبنص القرآن كما بين الله ـ تعالى ـ في كتابه العظيم وأمر نبيه أن يقسم على البعث والميعاد وقال ﷻ: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ يعني: البعث ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يُونس: ٥٣] وقال

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»، رقم (٤٣٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢١).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم (١٥٣).

سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [سبإ: ٣]، وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧] كفّرهم بإنكار البعث فمن أنكر البعث فهو كافر، ومن قال: إن البعث للأرواح دون الأجساد فهو كافر كالفلاسفة، لابد من الإيمان بأن الله يبعث الأجساد.

ولا بد من الإيمان بالجزاء والحساب والشفاعة، والصراط الذي ينصب على متن جهنم، والميزان العظيم الذي توزن به الأعمال والأشخاص، ولا بد من الإيمان بحوض نبينا محمد ﷺ في موقف القيامة، ولابد من الإيمان بالجنة والنار، وكذلك ما يكون في القبر من النعيم والعذاب وسؤال منكر ونكير وتضييق القبر على العصاة الكفرة، وتوسيعه على المؤمنين المطيعين، وفتح باب من الجنة للمؤمن فيأتيه من روحها وطيبها، وفتح باب إلى الفاجر من النار فيأتيه من حرها وسمومها.

ولا بد من الإيمان بمراتب القدر الأربع:

المرتبة الأولى: العلم، فالله علم كل شيء، فعلم الأشياء قبل كونها في الأزل، وعلم ما يكون منها في المستقبل والحاضر، وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب كل شيء

في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢] وهو اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢]، وفي الحديث: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(١).

المرتبة الثالثة: الإيمان بإرادة الله الشاملة لكل شيء، فكل شيء في هذا الوجود شاء الله وجوده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١].

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد، نؤمن بأن الله خلق كل شيء، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

فهذا هو السبب الأول من أسباب السعادة وأسباب الربح والنجاة والسلامة من عذاب الله، والسلامة من المنغصات والمشقات والمكاره.

(١) أخرجه مُسْلِم: كتاب الْقَدَرِ، رقم (٢٦٥٣).

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

السبب الثاني:
العمل الصالح

قال تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥]، والعمل يدخل في الإيمان عند الإطلاق، إذا أطلق الإيمان دخل فيه العمل، لأن مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة: **يشمل أربعة أشياء**[(١)]:

الأول: قول اللسان.

الثاني: قول القلب.

الثالث: عمل القلب.

الرابع: عمل الجوارح.

قال بعض السلف في تعريف الإيمان: «قول وعمل ونية»[(٢)]، «قول» يُقصد به قول القلب وقول اللسان، فقول القلب: هو الاعتقاد والتصديق، وقول اللسان: النطق، وعمل القلب: النية والإخلاص والصدق، وعمل الجوارح: كالصلاة والصيام والزكاة.

وزاد بعضهم وقال: «قول وعمل ونية وسنة»[(٣)]،

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٠٤).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٠٩).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧١).

وهذا أشمل من قول بعضهم: «الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان».

يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، لكن عطف الله ﷻ العمل الصالح على الإيمان تخصيصًا بعد التعميم، قال بعض العلماء: إنه إذا عطف العمل على الإيمان دل على أن العمل لا يدخل في الإيمان، ويدخل العمل في الإيمان إذا أطلق الإيمان وانفرد.

وقال آخرون: إن العمل داخل في الإيمان ولكنه نص عليه تخصيصًا بعد التعميم لأهميته؛ كما قال ﷻ: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ ۝٤﴾ [التحريم: ٤]. فنص على جبريل وميكائيل ثم ذكر الملائكة، وجبريل وميكائيل داخلان في الملائكة، نص عليهما تخصيصًا بعد التعميم، فكذلك إذا عطف العمل على الإيمان فإنه عطف عليه لأهميته تخصيصًا بعد التعميم.

وقوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥] المراد بالصالحات: الأعمال الصالحة وهي الواجبات التي أوجبها الله ومستحبات يفعلها المسلم، ومحرمات ومكروهات يتركها المسلم، ولا يكون العمل صالحًا إلا إذا توفر فيه **أمران عظيمان وركنان أساسيان**:

الأمر الأول: أن يكون خالصًا لله مرادًا به وجه الله

والدار الآخرة، لا يريد الإنسان بالعمل الذي يتقرب به إلى الله مراءاة الناس ولا محمدتهم ولا ثناءهم، ولا الدنيا وحطامها ولا أي مقصد آخر، إنما يقصد وجه الله والدار الآخرة كما قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] فلابد أن يكون العمل خالصا لله.

الأمر الثاني: أن يكون موافقًا لشرع الله وصوابًا على هدي رسول الله، إذا كان العمل يتوفر فيه هذان الأمران، وهو الإخلاص والمتابعة، الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ صار العمل صالحًا، فإن اختل الإخلاص صار العمل شركًا، وإن اختل المتابعة ووجد الإخلاص صار العمل بدعة، وإذا توفر الأمران صار العمل صالحًا.

وقد جمع الله بين هذين الأمرين في مواضع من كتابه فقال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ العمل الصالح: ما كان موافقًا للشرع ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، هذا هو العمل الخالص، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] فإسلام الوجه وإخلاص العمل لله هذا العمل الخالص.

وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الإحسان هو العمل الموافق للشرع، قال سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ [البقرة: ١١٢]

هذا هو الإخلاص، وقال في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(١) هذا هو الأمر الأول.

فلا بد أن تكون النية خالصة لله، وقال في الأمر الثاني: وهو أن يكون العمل موافقًا للشرع، قال -في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢)، وفي لفظ لمسلم «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**»(٣) يعني: مردود على صاحبه، كل عمل ليس عليه أمر الله ورسوله فهو مردود وبدعة.

فالعمل الصالح لابد أن يكون خالصًا لله، ولا بد أن يكون موافقًا للشرع، لابد أن يكون جاء به الشرع هذا العمل مأمور به شرعًا أمر إيجاب أو أمر استحباب، والشيء

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

الذي يتركه الإنسان منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه.

فالصلاة أمر الله بها وهي عبادة، لابد للمسلم إذا صلى أن تكون صلاته لله وموافقة لشرع الله، والزكاة عبادة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والإحسان إلى الجيران، كل هذه أعمال صالحة جاء بها الشرع فلابد أن تكون خالصة لله.

كذلك أيضًا المأمورات أمر استحباب مثل السواك عند الصلاة مأمور به استحبابا، فالمسلم يتعبد بالتسوك عند الصلاة، الصدقات مستحبة، النوافل، صلاة الضحى، صلاة الليل، صيام النفل، حج النفل، كل هذه مأمور بها أمر استحباب فالمسلم يتعبد بها لله ﷻ.

كذلك المحرمات التي أعظمها وأغلظها الشرك بالله والعدوان على النفس في الدماء، والعدوان على النفس في الأموال، والعدوان على النفس في الأعراض، الغيبة والنميمة، والزنا، والخمور، والمخدرات، وكل المحرمات التي حرمها الله، والخبائث بجميع أنواعها، هذه كلها محرمات يتركها المسلم تعبُّدًا لله يتركها خوفًا من الله وطمعًا في ثوابه، يتركها تعبدًا لله، لا يتركها لأنه لا يريدها أو لا يحبها أو لأن نفسه لا تريدها ولو أرادتها نفسه لفعلها، بل يتركها حتى لو أرادها، ولو كانت نفسه

تميل إليها، يتركها خوفًا من الله ورجاءً فيما عنده وتعظيمًا لله ـ تعالى ـ وإجلالا، هذه هي الأعمال الصالحة.

الأعمال الصالحات هي العبادات التي أمر الله بها أمر إيجاب أو أمر استحباب يفعلها المسلم تعبُّدًا لله، محبةً وخوفًا ورجًاء، والنواهي التي نهى الله عنها أو نهى عنها رسوله ﷺ نهي تحريم أو نهي تنزيه يتركها محبةً وخوفًا ورجاءً من الله؛ وهذا هو السبب الثاني من أسباب الربح والسعادة والنجاة، وهذه من صفات الرابحين وهي العمل الصالح.

السبب الثالث:
التواصي بالحق

قال ﷻ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣] أي: أوصى بعضهم بعضًا بالحق، وبالدعوة إلى الحق، والحق: هو الأعمال الصالحة التي أمر الله بها أو أمر بها رسوله ﷺ أو نهى الله عنها ونهى عنها رسوله ﷺ، يتواصوا بالحق: يوصي بعضهم بعضًا بالدعوة إلى الأعمال الصالحات، بالدعوة إلى توحيد الله، بالدعوة إلى أداء الواجبات، بالدعوة إلى فعل المستحبات، بالدعوة إلى ترك المحرمات، بالدعوة إلى ترك المنهيات، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعون إلى الله على بصيرة.

وهذا الخير الذي مَنَّ الله عليهم به من التوحيد والإيمان والعمل الصالح، وهداهم إليه يأمرون به الناس ويدعون الناس إليه ليعم الخير، ويقل الشر والفساد، فهم ينفعون الناس بعد أن منَّ الله عليهم واستقاموا على توحيد الله وأداء الواجبات وترك المحرمات، انتقلوا إلى دعوة الناس إلى هذا الخير الذي مَنَّ الله عليهم به إلى أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، حتى صاروا مباركين، وتبصروا وتفقهوا في دين الله.

فجاهدوا أنفسهم في التعلم والتفقه والتبصر في دين الله، ثم جاهدوا أنفسهم بالعمل الصالح فأدوا الواجبات وتركوا المحرمات، ثم جاهدوا أنفسهم جهادًا ثالثًا فدعوا الناس إلى هذا الخير الذي مَنَّ الله عليهم، وأوصى بعضهم بعضًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وإلى دينه، وإلى الجهاد في سبيله.

ولابد أن يكون الداعية والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمتواصي بالحق لابد أن يتصف بصفات حتى تستقيم له هذه الصفة، وحتى ينفع الله بوصيته ودعوته لا بد أن يكون عنده علم وبصيرة بهذا الشيء الذي يتواصى مع غيره به ويدعو إليه، يعلم أن هذا الشيء الذي يأمر به ويوصي به غيره أنه حق وأنه مأمور به شرعًا، وأن الله شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ويكون عنده علم وبصيرة، لا يدعو وهو لا يعلم، لا يدعو وليس عنده بصيرة.

نقول: لابد من البصيرة والعلم، يعلم هذا الشيء الذي يأمر به، وأنه من الدين، وأن الله أمر به في كتابه وعلى لسان رسوله، يعلم أن هذا الشيء الذي نهى الله عنه في كتابه، أو نهى عنه رسوله ﷺ هذا هو البصير كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٨] هذه

بصيرة العلم والفقه في الدين، وقال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النّحل: ١٢٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٣].

ولا بد أيضا للداعية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمتواصي بالحق أن يكون على علم بحال المدعوين حتى تكون الدعوة والوصية بالحق موافقة لحالهم؛ ولهذا لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن أخبره بحالهم، وأنهم أهل علم وأهل كتاب وأهل جدل، لا بد أن يستعد لمناظرتهم، فقال لما بعث معاذًا إلى اليمن: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**»(١) فهم ليسوا جهال، استعد لمناظرتهم ومجادلتهم، فليكن أول ما تدعوهم به شهادة أن لا إله إلا الله.

إذن لا بد للداعية والمتواصي بالحق أن يكون على علم بحال المدعوين، ولابد أن يكون في حال دعوته عنده رفق وحلم، فإن كان عنده عنف وشدة وقسوة فإنه لا يقبل منه، وقد يفسد أكثر مما يصلح، لا بد أن يتحمل ويكون عنده حلم وصبر ورفق ولين، هذا في أول الأمر، فإذا لم

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٩).

يفد هذا الطريق طريق اللين أو تعدى المدعو أو ظلم فإنه ينتقل معه إلى طريق الشدة والقسوة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فمن ظلم وتعدى فإنه ينتقل معه إلى الطريق الآخر، وأما قبل ذلك فإنه يسلك طريق الرفق والحلم.

السبب الرابع:
الصبر

لا بد للداعية من علم وبصيرة قبل الدعوة، ولا بد من حلم ورفق في حال الدعوة، ولا بد من صبر بعد الدعوة، فالداعية إلى الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمتواصي بالحق لابد أن يعلم هذا الشيء الذي يدعو إليه.

والأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي يعلمها الخاص والعام كلٌّ يدعو إليها، فالمسلم يدعو إلى أداء الصلاة، عمارة المساجد، هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، يدعو إلى الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد في سبيل الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وينهى عن الشرك، والقتل، والزنا، والسرقة، والغيبة، والنميمة، وينهى المرأة عن السفور، وتشبه المرأة بالرجال وتشبه الرجال بالنساء، هذه أمور معلومة من الدين بالضرورة، كل يدعو إليها.

لكن الأمور الدقيقة الخفية لا يدعو الإنسان إلى شيء حتى يعلم حكمها من الشرع، فالداعية لابد له من علم قبل الدعوة وحلم ورفق في أثنائها، ولا بد له من صبر على الأذى بعد الدعوة.

فالسبب الرابع من أسباب السعادة والنجاة والسلامة: الصبر على الأذى؛ لأن الداعية والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمتواصي بالحق يقف أمام رغبات الناس وأهوائهم وشهواتهم ويصادمهم ويمنعهم من التمادي فيها.

والناس إذا وقف أحد في وجوههم أمام رغباتهم وشهواتهم لابد أن يؤذوه؛ إما بقول أو بفعل، فلا بد للداعية أن يصبر ويتحمل، فإذا لم يصبر انقطع، فلابد من الصبر.

والدعاة إلى الله من خير الناس وأفضلهم كما قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠] فجعلهم خير الناس بهذه الصفات: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ بأي شيء: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فمن توفر فيه هذه الصفات حصلت له الخيرية، ومن فاتته هذه الصفات فاتته الخيرية.

فالإيمان بالله هو الأساس، ولكن قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأهميتهما وإن كانا داخلان في الإيمان، قال ـ سبحانه ـ في وصف المؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبَة: ٧١] فهم أهل الرحمة

بهذه الصفات، فهذه أسباب الرحمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، من اتصف بهذه الصفات فهو من أهل الرحمة.

ثم بين ثوابهم وجزاءهم العظيم، فقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢] فلابد للداعية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمتواصي بالحق والمتعاون على البر والتقوى لا بد له من الصبر، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ٣] يعني: أوصى بعضهم بعضًا بالصبر والتحمل، فمن لم يصبر فإنه لا يستمر في دعوته ولا في وصيته ولا في تعاونه على البر والتقوى بل ينقطع.

وإذا صبر فإنه يستمر، وبالصبر يتخطى المسلم العقبات التي تكون أمامه ويسلم من كيد أعداء الله من الكفار والفساق، قال ﷻ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال ﷻ عن لقمان أنه أوصى ابنه بعد الصلاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم أوصاه بعد ذلك بالصبر: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ [لقمان: ١٧] فدل على أنه لابد من الصبر.

۞ والصبر ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الصبر على الطاعات:

يصبر المسلم حتى يؤدي الطاعة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والتواصي بالحق، هذه طاعة عظيمة، هي وظيفة الرسل ووظيفة أتباعهم، فهذه الطاعة العظيمة لا بد للمسلم من الصبر في أدائها، فمن لم يصبر ما استطاع أن يستمر في دعوته وفي تعاونه على البر والتقوى وفي تواصيه بالحق وفي أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، إذا لم يصبر انقطع، ولا بد من جهاد النفس على الصبر، والواجبات كلها هكذا، الصبر لا بد منه في أداء الواجبات، في أداء الصلوات الخمس، في أداء الزكاة الواجبة، في صوم رمضان، في حج بيت الله الحرام، في بر الوالدين، في صلة الرحم، جميع الطاعات ومنها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

النوع الثاني: الصبر عن محارم الله:

يصبر الإنسان عن محارم الله حتى يترك المعصية، يكبح جماح نفسه، لو لم يصبر الإنسان ويكبح جماح نفسه

فعل المحرمات، النفوس تميل إلى ما يوافقها ويلائمها تميل إلى الأهواء والشهوات، لو لم يصبر الإنسان عن محارم الله فعل المحرمات، شرب الخمر، إن لم يصبر ويعلم أن الله حرم الخمر فهو يصبر عن اجتراح هذه المعصية فلا يفعلها خوفًا ورجاءً ومحبةً لله، يصبر فلا يفعل الزنا لا يفعل السرقة، لا يعق الوالدين، لا يقطع رحمه، لا يتعامل بالربا، لا يأخذ الرشوة، لا ينظر إلى المرأة الأجنبية فلا يتأمل محاسنها ويغض بصره.

لابد من الصبر، فمن لم يصبر فإنه واقع في محارم الله لابد في تركها من الصبر وجهاد النفس والتحمل وحبس النفس الواقعة في الحرام.

النوع الثالث: الصبر على أقدار الله:

يصبر الإنسان على أقدار الله المؤلمة، ما يصيب الإنسان من جراحات من أمراض في بدنه وفي أهله أو في ماله أو في ولده أو في صفيه وحبيبه، وما يصيب المسلم من الجراحات كالجهاد في سبيل الله وأعظمها استشهاده، ثم الجراحات لا بد فيها من الصبر على أقدار الله؛ فلا يتجزع ولا يتسخط، فيحبس نفسه عن الجزع فلا تكون نفسه جزعة، ولا يكون عنده هلع، بل يكون عنده صبر وتحمل.

ويحبس لسانه عن التشكي؛ فلا يتشكي ويقول:

لماذا أنا أصبت بهذا؟ لماذا أصابني المرض ولم يصب الناس؟ لماذا أصبت في ولدي؟ لماذا أصبت في أهلي؟ لماذا أصبت في مالي؟ هذا تسخط لأقدار الله، فالصبر واجب، فعلى المسلم أن يصبر فلا يتكلم بما يغضب الله، بل يحبس لسانه عن التشكي والتسخط.

ولا بد أيضًا في الصبر من حبس الجوارح عما يغضب الله، فلا يلطم الإنسان خَدًّا، ولا يشق ثوبًا، ولا ينتف شعرًا؛ لأن هذا مما يغضب الله.

وبعض الناس إذا أصابتهم مصيبة لطم خدّه أو نتف شعره أو شقّ ثوبه أو شق جيبه كل هذا من التسخط على أقدار الله المؤلمة، لما حضرت أبو سلمة رضي الله عنه الوفاة دَخَلَ رَسُولُ اللهِ عليه وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**» فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**» ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»[(١)].

فلابد من حبس الجوارح عما يغضب الله، فإذا حبس

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، رقم (٩٢٠).

الإنسان نفسه عن الجزع، وحبس لسانه عن التشكي، وحبس جوارحه عما يغضب الله، فإنه يكون من الصابرين، المؤدين لواجب الصبر قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦] فالصبر واجب، ومن أخل بهذا الواجب فإنه يكون آثمًا مأزورًا، والنبي ﷺ: «**بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ**»(١)، **الصالقة**: التي ترفع صوتها عند المصيبة، **والحالقة**: التي تحلق شعرها عند المصيبة، **والشاقة**: التي تشق ثوبها عند المصيبة.

والإنسان لا يلام على حزن القلب ودمع العين، لا يلام على هذا، إنما يلام على الصراخ والعويل وتعداد محاسن الميت والدعاء بالويل والثبور، ولهذا لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ دمعت عيناه ﷺ وقال: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»(٢).

وقد قال ﷺ مبينا ما يلام عليه الإنسان: «**إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا** ـ وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ ـ **أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ**

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ الحَلْقِ عِنْدَ المُصِيبَةِ، رقم (١٢٩٦)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم (١٠٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»، رقم (١٣٠٣)، ومسلم: كتاب الفضائل، رقم (٢٣١٥).

عَلَيْهِ»[١] يعني: الصراخ والعويل ورفع الصوت بالبكاء، فالصبر الواجب لا بد منه، فمن صبر فإنه قد أدى الواجب، ومن أدى الواجب أثابه الله، ومن لم يصبر فإنه أخل بالواجب، ومن أخل بالواجب عصى الله فيكون آثمًا مأزورًا.

وأما الرضا بالمصيبة فهو أمر مستحب في أصح قولي العلماء[٢]، والواجب الصبر كما سبق، وأما الرضا فهو درجة عالية، فمن رضي فله الثواب وله الأجر العظيم.

ومن عباد الله الخُلَّص من يتجاوز مرتبة الرضا إلى مرتبة الشكر، فيشكر الله على المصيبة وتكون في حقه نعمة ومنحة؛ لأنه يعلم أن هذه المصيبة يكفِّر الله بها سيئاته، ويرفع بها درجاته فهو اعتبرها نعمة شكر الله عليها، **فالناس تجاه المصائب أربع طبقات:**

الطبقة الأولى: الساخطون الجازعون الذين أخلوا بالصبر، لم يصبروا على المصائب وعلى أقدار الله، ومن ذلك ما يحصل للداعية من الأذى وكذلك الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قد يُلطم قد يُبصق في وجهه قد يُضرب

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، بَابُ البُكَاءِ عِنْدَ المَرِيضِ، رقم (١٣٠٤)، ومسلم: الجنائز (٩٢٤).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٦٨٢)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٢٠٤).

قد يسجن قد يقتل، وما يحصل للمجاهد في سبيل الله من الجراحات، هذه مصائب لابد من الصبر عليها، فالصبر هذا واجب، ومن أخل بالصبر بأن جزع فلم يحبس نفسه عن الجزع أو لم يحبس لسانه عن التشكي أو لم يحبس الجوارح عما يغضب الله فإنه آثم، وهذه الطبقة الأولى من الناس، الساخطون الآثمون الجازعون.

الطبقة الثانية: الصابرون الذين صبروا على المصائب وحبسوا أنفسهم وألسنتهم وجوارحهم عما يغضب الله، فهؤلاء أدوا ما أوجب الله عليهم، فأثابهم الله.

الطبقة الثالثة: من الناس الراضون بالمصيبة صبروا ثم رضوا بها رضوا بما قدر الله بعلمهم بأن الله لا يُقدِّر عليهم إلا ما فيه مصلحة لهم، فهم راضون فلهم الثواب ولهم الأجر.

الطبقة الرابعة: الشاكرون الذين شكروا الله على المصيبة، صارت المصيبة في حقهم نعمة يشكرون الله عليها، انقلبت المحن في حقهم منحًا فصاروا يشكرون الله على هذه المصيبة لما يعلمون من الأجر والثواب الذي أعده الله للصابرين والراضين بقضاء الله وقدره، فشكروا الله على هذه النعمة وعلى هذه المصيبة وصارت في حقهم نعمة ومنحة؛ لأن هذا خير عظيم ساقه الله إليهم بهذه المصيبة، حيث كفر سيئاتهم ورفع درجاتهم، ومن يحصل

له هذا الأمر العظيم فإنه يعدل الدنيا كلها بحذافيرها، لو أعطي الدنيا بحذافيرها أو أعطي ثواب هذه المصيبة التي صبر عليها ورضي بها وشكر الله عليها، فالدنيا كلها لا تساوي أمام رضا الله وإثابة لعبده شيئا.

والمؤمن مع ذلك يتمتع بما أعد الله له في دار كرامته من النعيم والثواب العظيم والأجر الكبير وأعلاه وأعظمه النظر إلى وجه الله الكريم، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦] فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا من هؤلاء الصابرين الشاكرين.

أثر الأخذ
بأسباب الربح
والسعادة

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الأمن:

قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قُرَيش: ٣-٤]، ولمَّا دخل النبيّ ﷺ مكَّة عامَ الفتح، منح أهلَ مكَّة أعظمَ ما تتوُق إليه نفوسهم، فأعطى الأمانَ لهم وقال: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ**»(١) رواه مسلم

- **والمعاصي والأمنُ لا يجتمِعان**، فالذنوب مُزيلةٌ للنِّعم، وبها تحُلّ النقم، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣﴾ [الأنفال: ٥٣]، كما جاء في عن عمر رضي الله عنه: «**لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا يُكْشَفُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ**»(٢).

- **والطاعةُ هي حِصن الله الأعظمُ** الذي من دخله كان من الآمنين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]، **وبالخوف منَ الله**

---

(١) أَخرَجَهُ مُسْلِم: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، رقم (١٧٨٠).

(٢) أَخرَجَهُ الدينوري في المجالسة (٣/ ١٠٢/ ٧٢٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٥٨).

ومراقبتِه يتحقّق الأمن والأمان، فهابيل امتَنع من قتلِ قابيل لخوفِه من ربِّه جل وعلا ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المَائدة: ٢٨].

- ومتى وقع في معصية فليتب فإنه يرجع عندئذ إيمانه، عن أبي هريرة مرفوع إلى النبي ﷺ: «**إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ**»(١).

- جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**»(٢).

۞ عصمة الدم والمال:

قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(٣).

---

(١) أَخرَجَهُ أبو داود: كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، رقم (٤٦٩٠)، والترمذي: أَبْوَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَا جَاءَ لَا يَزْنِي الزَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، رقم (٢٦٢٥).

(٢) أَخرَجَهُ مُسْلِم: كِتَابُ الْأَيْمَانِ، رقم (١٣٢).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ رقم (٢٥)، ومسلم: كِتَابُ الإِيمَانِ، رقم (٢١).

الثبات:

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «وإذا قام بالقلب التصديق به والمحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه ودليل هو معلوله كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب فكل منهما يؤثر في الآخر لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له والفرع يستمد من أصله والأصل يثبت ويقوى بفرعه»[(١)].

اطمئنان القلب:

لابد حال الذكر من استحضار القلب وفهم المعاني ما أمكن، حتى يكون لذلك أثر في نفس المسلم، فيطمئن قلبه ويستقيم سلوكه: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرّعد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسرَاء: ٨٢]، ومن

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤١).

عظيم فضل الله ﷻ على المسلم: أن عادته تنقلب بالنية إلى عبادة يؤجر عليها، ويصير فعله وتركه قربة يتقرب بها من ربه جل وعلا، فإذا تناول الطعام والشراب المباح بقصد الحفاظ على جسمه والتقوّي على طاعة ربه، كان ذلك عبادة يثاب عليها، ولا سيما إذا قارن ذلك ذكر الله تعالى في بدء العمل وختامه، فسمى الله تعالى في البدء، وحمده وشكره في الختام.

وكذلك يربو الأجر وينمو عند الله ﷻ للمسلم الذي يكف عن محارم الله ﷻ، ولا سيما إذا جدّد العهد في كل حين، واستحضر في نفسه أنه يكف عن معصية الله تبارك وتعالى امتثالاً لأمره واجتناباً لما نهى عنه، طمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه وتحقق فيه وصف المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

۞ المحافظة على الوضوء:

فلا يُحافظ على الوضوء إلا المؤمن، قال: «**اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»[(١)]، لأنه أمر

(١) أخرجه ابن ماجه: كِتَابُ الطَّهَارَةِ وَسُنَنِهَا، بَابُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْوُضُوءِ، رقم (٢٧٧)، وقال الحاكم (١/ ٢٢١/ ٤٤٩) «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

غير ظاهر، إلى جانب ما فيه من المكاره، ولذا كان المحافظ عليه أسبق إلى دخول الجنة، كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ لِبِلَالٍ: «**عِنْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ**» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ[(١)].

عتق النفس:

الإسلام جاء ليحرر البشر. فكل إنسان: إما ساع في هلاك نفسه أو في فكاكها، فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسه لله وأعتقها من عذابه، ومن سعى في معصية الله تعالى فقد باع نفسه بالهوان وأوقعها بالآثام الموجبة لغضب الله عز وجل وعقابه. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠] والمعنى: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وخاب من زجها في المعاصي.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، بَابُ فَضْلِ الطُّهُورِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَفَضْلِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الوُضُوءِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، رقم (١١٤٩)، ومسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، رقم (٢٤٥٨).

نور الوجه:

ومن دلك ما جاء في قصة أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما: قال سعد لأسيد لا أبالك انطلق إلى هذين الرجلين وهما مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة، اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أن يأتيا دارينا، وكانا يومئذ سيدا قومهما فأخذ أسيد حربته ثم أقبل إليهما فوقف عليهما متشتماً، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره، قال أنصفت قال ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما: **والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله**، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا قال: **أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم**، والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج إليهما فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في إشراقه وتسهله...، ثم قال لهما كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم لما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به

من عندكم فعرض عليهم الإسلام... فوالله ما أمسى في دار عبدالأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة[١].

ومن ذلك قصة عتبة:

قال عتبة: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فاكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا ـ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ فقال يزيدون ويكثرون ـ فقالوا: بلى، يا أبا الوليد فقم إليه وكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان في النسب وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٥٢)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٧).

حتى يتداوى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة، قال له النبي ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: اسمع مني. قال: أفعل. فقال رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ [فُصّلَت: ١-٤] فمضى رسول الله ﷺ يقرأها، فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمدا عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: سمعت قال: فأنت وذاك. ثم قام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: **تحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به**، فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله بلسانه، قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[1].

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٦٣)، وتاريخ الإسلام (١/ ١٥٩).

جود النفس:

قال شداد بن الهاد: جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه فقال: أهاجر معك فأوصى به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ شيئا فقسمه، وقسم للأعرابي فأعطى أصحابه ما قسمه له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فَقَالَ إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ، ثُمَّ نَهَضُوا إِلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحْمَلُ وَقَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هُوَ هُوَ؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ[1]، وهكذا كان صدقهم رضي الله عنهم في كثير من القصص.

غفران الذنوب:

- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّ الْمُتَابَعَةَ بَيْنَهُمَا، تَنْفِي**

(١) أخرجه النسائي: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، الصَّلَاةُ عَلَى الشُّهَدَاءِ، رقم (١٩٥٣)، والبيهقي في الكبرى: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الْمُرَتَّثِّ وَالَّذِي يُقْتَلُ ظُلْمًا فِي غَيْرِ مُعْتَرَكِ الْكُفَّارِ وَالَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ سَيْفُهُ، رقم (٦٨١٧).

الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ، خَبَثَ الْحَدِيدِ»[١].

- قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ فِي جَسَدِهِ يُؤْذِيهِ، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ**»[٢]، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[٣].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن مسلمٍ يُبتَلى في جسدِهِ ببلاءٍ إلا كَتبَ اللهَ له أَفْضَلَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ فِي مَرَضِهِ**»[٤]، وجاء في المسند عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْأَمْرَاضَ الَّتِي تُصِيبُنَا مَا لَنَا بِهَا؟ قَالَ: «**كَفَّارَاتٌ**» قَالَ أُبَيٌّ: وَإِنْ قَلَّتْ؟ قَالَ: «**وَإِنْ**

---

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ الحَجِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، رقم (٨١٠)، وابن ماجه: كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، رقم (٢٨٨٧)، والنسائي: كِتَابُ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، فَضْلُ الْمُتَابَعَةِ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، رقم (٢٦٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (١٦٨٩٩)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٥٩/ ٨٤١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٨/ ١٢٨٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٣) أَخرَجَهُ مُسْلِم: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، رقم (٢٩٩٩).

(٤) أَخرَجَهُ ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (١٤٣/ ١٧٨)، والطحاوي في مشكل الآثار، رقم (٢٢١٢)، والبيهقي في الشعب، رقم (٩٤٦٥).

شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا»[(١)].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ففيه معنى آخر سوى ما ذكره وهو أن الطهر طهران طهر بالماء من الأحداث والنجاسات وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي وهذا الطهور أصل لطهور الماء وطهور الماء لا ينفع بدونه بل هو مكمل له معد مهيأ بحصوله فكان أولى بالتقديم لأن العبد أول ما يدخل في الإسلام فقد تطهر بالتوبة من الشرك ثم يتطهر بالماء من الحدث»[(٢)]، وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**»[(٣)].

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ**

(١) أخرجه أحمد (١١١٨٣٩).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ٦٨).
(٣) أخرجه مسلم: كِتَابِ الطَّهَارَةِ، رقم (٢٤٥).

آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»[(١)]، ومنه حديث ماعز رضي الله عنه لما قال فيه رسول ﷺ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»[(٢)].

۞ الحفظ من الفحشاء والمنكر:

قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥] قال الشيخ السعدي رحمه الله: «ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. وثَمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن، فإن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

(١) أخرجه مسلم: كِتَابِ الطَّهَارَةِ، رقم (٢٤٤).
(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْحُدُودِ، رقم (١٦٩٥).

ويحتمل أنه لما أمر بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى»[(١)].

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[(٢)].

۞ حصول ولاية الله:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٦٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ البَاءَةَ فَلْيَصُمْ، رقم: (٥٠٦٦)، ومسلم: كِتَابُ النِّكَاحِ، رقم: (١٤٠٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، بَابُ التَّوَاضُعِ، رقم (٦٥٠٢).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[(١)].

وكان أبو الطيبِ الطبريُّ قد جاوزَ المائةَ سنة وهو ممتعٌ بعقلِهِ وقوتِهِ، فوثبَ يومًا من سفينة كان فيها إلى الأرضِ وثبةً شديدةً، فعوتبَ على ذلكَ، فقال: «**هذه جوارحٌ حفظنَاها في الصغرِ، فحفظَها اللهُ علينا في الكِبَرِ**»[(٢)].

۞ بركة في الرزق والعمر والبدن:

- سعة في الأرزاق ومد في الآجال وبركة في الأعمار؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[(٣)] رواه

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رقم (٢٥١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٧٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، بَابُ مَنْ بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، رقم (٥٩٨٦)، ومسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم (٢٥٥٧).

البخاري ومسلم.

- وبركة في البدن كما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا، وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ، فَلَمْ تَجِدْهُ وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**» فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»[(١)].

۞ توفيقه للشكر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى، فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا،

(١) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه، رقم (٣٧٠٥)، ومسلم: كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، رقم (٢٧٢٧).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ، إِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِشِبَعِكَ أَشْبَعَكَ اللهُ بِهِ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللهُ، وَهِيَ هَزَمَةُ جِبْرِيلَ وَسُقْيَا اللهِ إِسْمَاعِيلَ**» رواه الدارقطني والحاكم(٢).

- إن سلامة أعضاء جسم الإنسان، وسلامة حواسه وعظامه ومفاصله، نعمة كبيرة تستحق مزيد الشكر لله تعالى المنعم المتفضل على عباده. قال سبحانه تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**النَّعِيمُ: صِحَّةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ، يَسْأَلُ اللهُ الْعَبِيدَ فِيمَ اسْتَعْمَلُوهَا؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾** [الإسراء: ٣٦]»(٣)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**النَّعِيمُ:**

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَطْعِمَةِ، بَابٌ: المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ فِيهِ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (٥٣٩٧)، ومسلم: كتاب الْأَشْرِبَةِ، رقم(٢٠٦٣).

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (٣/ ٣٥٤/ ٢٧٣٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٤٦/ ١٧٣٩) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ إِنْ سَلِمَ مِنَ الْجَارُودِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٨٢).

الْأَمْنُ وَالصِّحَّةُ»[(١)]، وأخرج الترمذي وابن ماجه: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ** ـ يَعْنِي العَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ ـ **أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ**»[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «**كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وتُعين الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عليها أو تَرْفَعُ لهُ متَاعَهُ صَدَقَةٌ، والْكَلِمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقَةٌ، وبكُلِّ خَطْوَةٍ تَمشِيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأَذَى عنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»[(٣)]: عظام الكف والأصابع والأرجل، والمراد في هذا الحديث جميع أعضاء جسم الإنسان ومفاصله.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٦٠/ ١٩٤٥٦)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ،رقم (٣٣٥٨)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ».

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الصُّلْحِ، بَابُ فَضْلِ الإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالعَدْلِ بَيْنَهُمْ، رقم (٢٧٠٧)، ومسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ، رقم (١٠٠٩).

۞ توفيقه للأخذ بالعلم النافع والتمسُّك بالكتابِ والسنة شريعةً وقِيَمًا وأصولاً اجتماعية عصمته من الفتن:

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قل الشر في أهلها، وإذا خفي العلم هناك ظهر الشر والفساد»[(١)].

۞ كلامه فيما يفيد:

قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[(٢)].

وقال مالك بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِذَا رَأَيْتَ قَسْوَةً فِي قَلْبِكَ، وَوَهَنًا فِي بَدَنِكَ، وَحِرْمَانًا فِي رِزْقِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِمَا لَا يَعْنِيكَ**»[(٣)].

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٨٢).
(٢) أخرجه الترمذي: أبواب الزهد، باب، رقم (٢٣١٧)، وابن ماجه: كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، رقم (٣٩٧٦).
(٣) أخرجه السمرقندي في تنبيه الغافلين، بَابُ: حِفْظِ اللِّسَانِ، رقم (٢٧٨).

الخاتمة

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الرابحين، ومن الذين قاموا بأسباب النجاة والسعادة وطبقوها على أنفسهم وأقاموها واستقاموا عليها، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المؤمنين العاملين بالصالحات، المتواصين بالحق المتواصين بالصبر.

كما نسأله ﷻ أن يجعلنا من الذين أخلصوا أعمالهم لله وصدقوا مع الله وصبروا وصابروا واستقاموا على توحيد الله وعلى دينه حتى توفاهم الله على ذلك غير مغيرين ولا مبدلين، نسأله ﷻ أن يعيننا على أنفسنا وجهاد أنفسنا حتى نستقيم على طاعة الله وحتى نحذر معصية الله وحتى نستقيم على دين الله، ونسأله ﷻ أن يتوفانا على الإسلام غير مغيرين ولا مبدلين وعلى التوحيد والإيمان، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع رقم الصفحة

المقدمة: ٥

أسباب الربح والسعادة:

السبب الأول: **الإيمان**: ١١
الإيمان بالله: ١١
الإيمان بالملائكة: ١٣
الإيمان بالكتب المنزلة: ١٥
الإيمان بالرسل: ١٦
الإيمان باليوم الآخر: ١٩
الإيمان بمراتب القدر الأربع: ٢٠
السبب الثاني: **العمل الصالح**: ٢٣
السبب الثالث: **التواصي بالحق**: ٢٩
السبب الرابع: **الصبر**: ٣٣
أنواع الصبر: ٣٦
طبقات الناس نجاة المصائب: ٤٠

أثر الأخذ بأسباب الربح والسعادة:

الأمن: ٤٥
عصمة الدم والمال: ٤٦
الثبات: ٤٧
اطمئنان القلب: ٤٧

الموضوع رقم الصفحة

المحافظة على الوضوء: ٤٨
عتق النفس: ٤٩
نور الوجه: ٥٠
جود النفس: ٥٣
غفران الذنوب: ٥٣
الحفظ من الفحشاء والمنكر: ٥٦
حصول ولاية الله: ٥٧
بركة في الرزق والعمر والبدن: ٥٨
توفيقه للشكر: ٥٩
توفيقه للأخذ بالعلم النافع والتمسُّك بالكتابِ والسنة شريعةً وقِيَمًا وأصولاً اجتماعية عصمته من الفتن: ٦٢
كلامه فيما يفيد: ٦٢
الخاتمة: ٦٣
فهرس الموضوعات والفوائد: ٦٥